

قراءات معاصرة

لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي

بحوث محكمة في المؤتمر الدولي الثالث
(التراث اللغوي والأدبي في ضوء المناهج الحديثة)
١٤٤٠/٧/٧ هـ ٢٠١٩/٣/١٤ م

الباحثون

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| أ.د. محمد محمد العمري | أ.د. محي الدين محاسب |
| أ.د. محمد صلاح الدين الشريف | أ.د. أبو أوس إبراهيم الشمسان |
| د. حسن بن فهد الهويمل | د. حمد بن عبدالعزيز السويلم |
| أ.د. سعد عبدالعزيز مصلوح | أ.د. إبراهيم بن منصور التركي |
| أ.د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق | أ.د. حسن بن محمد النعمي |
| أ.د. مصطفى أحمد غلفان | أ.د. محمد بن سعيد الغامدي |
| أ.د. عز الدين المجدوب | أ.د. أحمد يوسف علي |
| أ.د. محمد نجيب العمامي | |

كلية اللغة العربية
والدراسات الاجتماعية
asc.qu.edu.sa



قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة القصيم

قراءات معاصرة

لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي

بحوث محكمة في المؤتمر الدولي الثالث

(التراث اللغوي والأدبي في ضوء المناهج الحديثة)

١٤٤٠/٧/٧ هـ ٢٠١٩/٣/١٤ م

الباحثون

- | | |
|------------------------------|-------------------------------|
| أ.د. محي الدين محاسب | أ.د. محمد محمد العمري |
| أ.د. أبو أوس إبراهيم الشمسان | أ.د. محمد صلاح الدين الشريف |
| د. حمد بن عبدالعزيز السويلم | د. حسن بن فهد الهويمل |
| أ.د. إبراهيم بن منصور التركي | أ.د. سعد عبدالعزيز مصلوح |
| أ.د. حسن بن محمد النعمي | أ.د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق |
| أ.د. محمد بن سعيد الغامدي | أ.د. مصطفى أحمد خلفان |
| أ.د. أحمد يوسف علي | أ.د. عز الدين المجدوب |
| | أ.د. محمد نجيب العمامي |

كلية اللغة العربية
والدراسات الاجتماعية
asc.qu.edu.sa



قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة القصيم

② جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، ١٤٤٠هـ

فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي؛ بريدة،

١٤٤٠هـ

ص ٤٥٦ : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١ - ٧٧ - ٨١٧٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الأدب العربي - مؤتمرات ٢- اللغة العربية - مؤتمرات

٣- الأدب العربي - نقد مؤتمرات أ- العنوان

١٤٤٠ / ٦٧٣٧

ديوي ٨١٠،٦٣

رقم الإيداع: ١٤٤٠ / ٦٧٣٧

ردمك: ١ - ٧٧ - ٨١٧٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨

للتواصل:

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

asc@qu.edu.sa

قسم اللغة العربية وآدابها

quarabic@qu.edu.sa

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



١١	الفصل الأول: التراث اللغوي والأدبي وإشكالية التجديد	
١٣	أ.د. محمد محمد العمري	التراث اللغوي العربي: أزمة كفاية أم أزمة تقادم
٣٥	أ.د. محمد بن سعيد الغامدي	فجوات في تجديد علوم العربية (التجديد النحوي نموذجاً)
٥١	د. حسن بن فهد الهويمل	تنازع البقاء بين مناهج التراث والمعاصرة في النقد الحديث
٨١	د. حمد بن عبدالعزيز السويلم	التراث بين سلطة النموذج وخطاب التأويل
٩٧	أ.د. أحمد يوسف علي	التراث والمعرفة والثقافة
١١٩	الفصل الثاني: قراءات معاصرة للتراث اللغوي	
١٢١	أ.د. مصطفى أحمد غلفان	التراث العربي واللسانيات الممكن والمستحيل
١٧٣	أ.د. عز الدين المجدوب	مفاهيم النحو العربي في ميزان مكتسبات النظرية اللسانية
١٩٥	أ.د. محمد صلاح الشريف	قراءة اللسانيات العربية القديمة في ضوء المناهج اللسانية الحديثة
٢٦٣	أ.د. محي الدين محسب	الرتبة بين التراث النحوي وتداوليات الخطاب
٣١٣	أ.د. أبو أوس إبراهيم الشمسان	حضور التراث في أعمال داود عبده
٣٥١	الفصل الثالث: قراءات معاصرة للتراث الأدبي والبلاغي	
٣٥٣	أ.د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق	أسباب خفاء المعاني في نظر أبي الحسن الماوردي مقارنة بأراء النقاد القدماء والمعاصرين
٣٦٩	أ.د. إبراهيم بن منصور التركي	مقاييس الفصاحة في البلاغة العربية: قراءة معاصرة
٣٩٩	أ.د. حسن محمد النعمي	تنازع المكانة بين الشعر والسرد: قراءة في السياق الثقافي
٤١٣	أ.د. محمد نجيب العمامي	الفن والأطروحة في ثلاثة نصوص سردية قديمة
٤٣١	أ.د. سعد عبدالعزيز مصلوح	تجربتي مع البلاغة العربية



التراث اللغوي العربي: أزمة تقادم أم أزمة كفاية

أ.د. محمد العمري

أستاذ اللسانيات بجامعة القاضي عياض بمراكش

ملخص:

يشكل التراث اللغوي العربي (النحوي بصفة خاصة) رافدا مهما بل أساسا قويا في فكرنا وثقافتنا المعاصرين. وقد نال من الاهتمام ما لم ينله غيره من الروافد الأخرى حتى اتهمت ثقافتنا في كثير من الأحيان بأنها ثقافة تراثية. وأصبح السؤال « ما موقفنا مما يجري اليوم في عالم اللسانيات؟ » سؤالا يواجه كل من كان قدره أن يكون لسانيا. وانقسم المهتمون بين من يرتاح إلى القديم ويقنع بحلولة، وبين من يرفضه ويخاصمه متهما إياه بعدم الكفاية، وينطلق باحثا عما يجيب عن أسئلته خارج هذا التراث. وبين هؤلاء وأولئك يرتفع صوت من يعلن أن القديم لم ينل منه التقادم ولم يصب كله بالبلى، وإنما هو إنتاج يمكن أن يستأنس به في تحقيق انطلاقة جديدة نحو الأمام، ويمكن أن يتعامل معه كإمكانية مفتوحة تتقاس عليها قريبا أو بعدا كل المحاولات التي يتم القيام بها في مجال بناء الأنحاء.

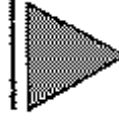
تحاول هذه المداخلة أن تسلط بعض الضوء على هذه المواقف الثلاثة اعتمادا على رائزين اثنين هما التقادم الذي نعتبره رائزا مغلوطا، والكفاية التي نرى أنها تمثل المدخل الحقيقي لأي نقد يمكن أن يوجه إلى هذا التراث.

التراث اللغوي العربي؛ أزمة تقادم أم أزمة كفاية

«إن لفظ التراث ذاته من التسميات التي ينبغي أن تزول، لأن الأقوال لا تورث ولا تنتقل ملكيتها من قوم إلى آخرين، بل إن أصحابها وضعوها حرصاً منهم على امتلاكها حتى لا تفوت إلى غيرهم وحتى يمكنهم، من وراء الحجب وقهراً للموت الجسدي، أن يحاوروا بها الخلف».

أحمد العلوي^(١)

قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي
بحوث محكمة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث (التراث اللغوي والأدبي في ضوء المنهج الحديث)
١٤٤٠/٧/٧ هـ ٢٠١٩/٣/١٤ م



القراءة الإحيائية؛

لو أخذنا بالتعريف العام والسائد للتراث^(١) والذي يحدده بأنه هو كل الإنجازات الفكرية والعمرائية التي تركها السلف وانتهت صلاحيتها فبقيت شاهدة على أن أناسا ما كانوا هنا، لو أخذنا بهذا التعريف، مع استحضار حالة التراث اللغوي العربي خاصة، لوقعنا في مفارقة غريبة، وهي أن ما نسميه التراث اللغوي العربي لم يدخل بعد في عداد التراث، لأن العمل به لم ينته بعد؛ فهو المعتمد، دون غيره، في مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا إلى اليوم^(٢).

في البلاد العربية، لازلنا نعيش على ما تركه الأسلاف، واقتصر دورنا، في أحسن الأحوال، على التحقيق والنشر كما تعلمنا من المستشرقين. وحينما يتعلق الأمر بوضع الكتب التعليمية، فإننا نقتصر على التراث مع حذف هذا الباب واختصار ذاك وتبسيط الأمثلة... ولا شيء يتعلق بالبحث عن بديل حقيقي يستوعب الماضي ليتجاوز له لا ليكرره^(٣). الرغبة في الاستيعاب أثارت موجة من الأسئلة، منها على سبيل المثال: ما السر الذي يقف وراء حضور هذا التراث بهذه الحدة وبهذه الكثافة في أبحاثنا

(١) التراث والإرث والميراث هي بمعنى واحد وهو ما يتركه الميت لورثته. نجد هذا المعنى متداولاً في ثقافات أخرى غير العربية؛ فكلمة *patrimoine* في الفرنسية مثلاً تعني نفس المعنى ثم يجري توسيع هذا المعنى بإضافة كلمات مخصصة، فنحصل على معاني موسعة مثل « التراث الثقافي » *patrimoine culturel* .

(٢) من سخریات السقوط في هذه المفارقة أنك تعثر في مكتباتنا على عناوين مثل « إحياء النحو العربي »؛ إذ كيف نحیی ما لا يزال حیا؟ !!

(٣) يجب أن لا يفهم كلامنا على أنه حظ من قيمة القدماء وقديمهم، وإنما هو إدانة للمعاصرين اللذين يبدو أنهم غير قادرين على منافستهم.

ودراساتنا للعربية؟ وما الذي يمنح التراث هذه القوة التي نعجز عن دفعها؟ لماذا لم نستطع تجاوزه رغم مرور أكثر من عشرة قرون؟ وهل ما زال الفراهيدي وسيبويه والكسائي والمبرد وابن جني والزمخشري... أحياء يتجولون في أزقة بغداد والبصرة والكوفة إلى اليوم؟

في البداية، قدم المستشرقون⁽¹⁾ إلى البلاد العربية تحذوهم الرغبة في تحقيق مجموعة من الأهداف منها التعرف على الإنسان العربي عن طريق الاطلاع على فكره وثقافته وذلك عبر التعرف عن كُتب على كل ما يفعل فيه من دين ولغة وأدب وعلوم مختلفة... ومن الأمور الدالة التي انتبه إليها المستشرقون أن التراث العربي لا زال حيا وفاعلا في حياة العرب المعاصرين، بل إنه زادهم المعتمد في عبادتهم وفي تعليمهم ومعاملاتهم رغم أنه يبعد عنهم بما يزيد عن الألف سنة، ولذلك تم الاقتصار عليه في جل الدراسات التي قيم بها حول العرب، وأصبح التراث هو مناط الاهتمام من قبل أغلب المستشرقين.

انصب الاهتمام، في البداية، على البحث عن مصادر هذا التراث ومطابته، وشمل ذلك كل ربوع البلاد العربية والإسلامية. ثم انتقل الاهتمام إلى التحقيق والدراسة والترجمة، أحيانا، حتى يتيسر لكل مهتم الاطلاع على هذا التراث واستيعابه. وأنشئت المعاهد والمراكز والمدارس الخاصة في بعض العواصم الأوروبية كباريس ولندن وأمستردام... حيث أصبح الاهتمام بالتراث العربي واحدا من التخصصات التي صار لها رواد كبار نالوا من الشهرة والاحترام ما لا يقل عما ناله غيرهم في تخصصات

(1) مرحلة الاستشراق مرحلة لا يمكن القفز عليها أثناء التأريخ لعملية الاتصال بالتراث العربي والإسلامي عموما.



أخرى، ليس في داخل أوروبا فحسب وإنما حتى في الوطن العربي^(١)، حيث صار لهم أتباع ومعجبون داخل الجامعات العربية كما صارت آراؤهم معتمدة في كثير من الأمور المرتبطة بالتراث العربي والإسلامي حتى وإن خلا كثير منها من الصحة. لكن، ومع ذلك، لا بد من الاعتراف بأن للمستشرقين فضل السابق في تحقيق التراث العربي وإخراجه للناس. ويكفي الاطلاع على لائحة الكتب والرسائل التي أخرجوها^(٢).

لقد احتل الاشتغال بمعرفة التراث اللغوي العربي^(٣) حيزا كبيرا من قبل هؤلاء، وتوزع اهتمامهم بين الرغبة في تقريب العربية إلى المتخصصين من أبناء الجلدة وذلك بوضع المختصرات وتسهيل القواعد (هدف تعليمي صرف) وبين توفير المراجع للباحثين والدارسين مع تعزيزها بالهوامش والتعليقات والفهارس (هدف علمي). والذي يبدو هو أن هؤلاء، في معظمهم، كانوا، وهم بصدد الإقبال على التراث اللغوي العربي، مسلحين بمجموعة من المعارف هي التاريخ وعلوم الأدب وعلوم المجتمع^(٤)، بالإضافة إلى الفيلولوجيا التي ساعدت كثيرا في تحقيق

(١) يكفي أن نذكر في هذا الخصوص بأسماء مثل نالينو و مرجوليوت و جب و دوساسي و نولدكه و بروكلمان وغيرهم كثير. يرجع في هذا الباب إلى المؤلفات الخاصة بالاستشراق. انظر على سبيل المثال العقيقي (١٩٦٤).

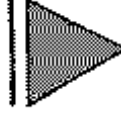
(٢) نفسه .

(٣) سوف نركز في هذه المداخلة على جانب قراءة التراث اللغوي دون غيره بعد أن سبق لنا في مناسبة أخرى أن قدمنا مساهمة في قراءة عمل استشراقي أدبي هو « تاريخ الأدب العربي: من الأصول حتى نهاية القرن ١٥ الميلادي » لريجيس بلاشير. انظر العمري (٢٠١٢).

(٤) ازدهرت هذه العلوم ازدهارا كبيرا في أوروبا القرن ١٩ خاصة، ومع هذا الازدهار اكتسبت المناهج قوة غير مسبوقة.

النصوص القديمة^(١). ومن بين الصروح المعرفية الضخمة التي أثارت الانتباه أكثر النحو العربي، لما تحقق فيه من نسقية وانسجام لم يملك معهما بعضهم نفسه ليثير النقاش حول أصالته وليقرر، في النهاية، أن الهيكل الذي وضعه النحاة العرب لنحوهم يكاد لا يختلف في جوهره عن الهيكل الذي كان قد وضعه المناطق اليونان من قبلهم. ويعود سبب هذا الزعم، في نظرنا، إلى الطريقة التي تم بها فهم وتأويل النحو العربي، كما يعود إلى أن مما يلاحظ على هذا النحو أنه بدأ مكتملاً وكأنه نشأ خارج التاريخ، أو هكذا يبدو. فهو لم يمر بمراحل النمو التي عرفتتها كل العلوم من تأسيس ونضج واكتمال. الأمر الذي دفع ببعض المؤرخين إلى اعتباره منقولاً من ثقافة أخرى هي الثقافة اليونانية، رغم أن تصوراته تختلف عن تصورات اليونان، ورغم أنه تأسس قبل تعرف النحاة على اليونان (مرحلة الرواد)، مما يبعد عنه شبهة النقل^(٢). صحيح أنه إذا تجاوزنا مرحلة الرواد إلى المراحل اللاحقة فإننا نلاحظ أن هناك عقلية منطقية بدأت تطفو على السطح. إذ لما عجزوا عن إضافة ما يمكن إضافته إلى النحو الأساس نتيجة اعتقادهم أن سيبويه قد جمع فأوعى كل العلم مالوا إلى تقديم اجتهادات غريبة عن النحو هي التي اشتهرت

(١) من أكبر الفيلولوجيين الذين اشتغلوا في العالم العربي نكتفي بالإشارة إلى العلامة الألماني برجشتراسر الذي قدم للمشتغلين بالتراث العربي عمليين قيمين هما: «أصول نقد النصوص ونشر الكتب». ١٩٣١ - ١٩٣٢. و«التطور النحوي للغة العربية ١٩٢٩. (٢) توفي سيبويه المؤسس سنة ١٨٢ هـ، أي قبل أن يعرف بيت الحكمة بسنوات وقبله توفي أستاذه الخليل (١٧٥ هـ).



باسم العلل؛ الأول والثواني والثالث^(١). هذه الاجتهادات هي التي ألبت الرافضين والطاعنين في أصالة النحو العربي كله^(٢). ويبدو، من جهة أخرى، أنه من غير المفيد المشاركة في النقاشات التي تدور حول أصالة النحو العربي من منطلق أن هدف المستشرق هو تجريد العربي من كل حميدة. والذي نقترحه، كما سبق إلى ذلك غيرنا، هو أن توضع أسس ومبادئ عامة لتأطير عملية فهم وتأويل التراث العربي عموماً واللغوي منه على الخصوص^(٣).

إذا تجاوزنا مساهمة المستشرقين في نشر ودراسة التراث اللغوي العربي بما لها وما عليها، فإن جل الباحثين العرب المعاصرين ممن ساهموا في قراءة هذا التراث وتقديمه قد خلطوا بين تصورات القدماء وتصورات المحدثين^(٤)، ولم يدركوا أن المفهوم الواحد (مثل اللغة واللسان والكلام والجملة وأجزاء الجملة...) لا يحتفظ بنفس التصور في كل العصور. فاللغة عند ابن جني، مثلاً، لا تعني نفس ما يتصوره سوسور أو تشومسكي أو غيرهما من المعاصرين الغربيين الذين نحاول الاستفادة

(١) يمكن أن يقرأ كتاب مثل « الإيضاح في علل النحو » للزجاجي على أنه اجتهاد منطقي على هامش النحو العربي السيبويهي. انظر الزجاجي.

(٢) حول أصالة النحو العربي، أنظر: جمال عبد العلي العمراني (١٩٨٠) و عبد العظيم الشناوي (١٩٨٠). ومن المفيد جداً، لدفع النقاش إلى الأمام، إثارة مسألة تطور النحو العربي، فخلال هذا التطور حصل ما حصل من انحراف. حول تطور النحو العربي، انظر: محمد شعيرات (١٩٩٢) و جان باتريك غيوم (١٩٩٢).

(٣) سبق إلى هذا الاقتراح أحمد المتوكل الذي قدم نظرية لإعادة قراءة التراث اللغوي العربي. انظر أحمد المتوكل (١٩٨٢).

(٤) كأن يساق تعريف عربي قديم إلى جانب تعريف غربي حديث.

منهم. الجميع لا يتكلم نفس اللغة حتى ولو استعملوا نفس الألفاظ. وهذه مسألة محسومة عند مؤرخي الفكر.

القراءة النقدية:

يمكن أن نذهب بعيداً في التأويل قصد التقريب، فنصف النموذج الذي قدم به النحاة العرب تصوراتهم بالنموذج الفيزيائي / الميكانيكي، وهو نموذج يتوخى تفسير التغييرات التي تطرأ على أواخر الكلم (النحو) وتلك التي تطرأ على بنيات الكلم (الصرف). فالسبب في تغير حركات أواخر الكلم هو انتقاله من مجال عاملي إلى مجال عاملي آخر^(١)، والسبب في تغيير الصوت هو انتقاله من سياق صوتي إلى سياق صوتي آخر. هذا التأويل الذي ينطلق من قلب النحو العربي يبعد عن العرب شبهة النقل عن ثقافة أخرى، ويدحض ادعاءات كل من يطعن في أصالته.

ابتكر اللغويون العرب قاموساً كاملاً من المفاهيم استوحوه من طبيعة اللغة العربية. فالعامل حاضر في العربية بشكل واضح، وتجاوزه كان يعني بالنسبة إليهم تجاوز العربية كلها^(٢). ومن غريب الصدف أن من الأقسام الأكثر تعرضاً للنقد البالغ حد الرفض في النحو العربي إنما هو العامل والأبواب المرتبطة به، كالتقدير والزيادة والحذف والنيابة والخفة والثقل وغير ذلك. وهو ما يعني أن الذين تبناوا هذا النقد لم يتمثلوا النواة الصلبة لهذا النحو، وأولهم ابن مضاء القرطبي وآخرهم من دعوا

(١) مفهوم المجال العاملي مع مفاهيم أخرى أخذناها من تأويلات يقترحها أحمد العلوي. انظر العلوي (١٩٨٨).

(٢) يمكن القول: إن فرضية العامل قد شكلت ما يمكن تسميته بالحدس المركزي أو النواة الصلبة للنحو العربي القديم. انظر العمري (٢٠١٢).



ولا زالوا يدعون إلى تيسير النحو العربي. لقد صنف العرب الكلام على أساس المقولات التركيبية (الكلم: اسم وفعل وحرف)، ثم صنفوا المقولات على أساس العامل (ما الذي يعمل وما الذي يعمل فيه)، ثم ارتقوا إلى الجملة ليصنفوها على أساس المحل (الجملة الكبرى والجملة الصغرى)، وكان الهدف الذي يحدد التصور هو تفسير التغيرات التي تلحق أواخر الكلم. لقد شغلت فرضية العامل النحاة كثيرا، واقتنعوا بأنها أكفى من كل البدائل الممكنة^(١). فحتى ابن مضاء الذي أبدى تحفظا تجاه هذه الفرضية وما ينبني عليها من ظواهر كالتقديم والتأخير والتعليق والحذف والتقدير لم يستطع أن يقدم بديلا منافسا، وكانت خلاصة ما قدمه هي نفس ما قدمه الرواد مع شيء من التخفيف الذي لم يتجاوز حدود النية^(٢)، رغم أن محاولته في الرد على النحاة قد فهمت على أنها ثورة أو تجديد أو تجاوز^(٣).

نفس الحكم يمكن أن يصدق على كثير من محاولات العرب المعاصرين التي استهدفت « إصلاح النحو العربي » والتي ركزت في ذلك على ضرورة تجاوز ما فهم منه أنه اضطراب منهجي وغموض في التصور أو أنه تلبيس بالمنطق الأرسطي^(٤). وقد أنجز الباحث عبد الوارث مبروك سعيد دراسة

(١) دليلا على ذلك أننا لم نعثر على بدائل أصيلة فيما وصلنا من أعمالهم.

(٢) انظر ابن مضاء.

(٣) أنظر مقدمة التحقيق الذي أنجزه شوقي ضيف لكتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي كمثال.

(٤) إبراهيم بيومي مذكور واحد من الذين دافعوا عن أصالة النحو العربي القديم. أنظر

مذكور (١٩٧١) ص ص ٤١-٥٢.

شاملة لكل محاولات إصلاح النحو العربي بدءا من ابن مضاء وانتهاء بما قدمه العرب المعاصرون^(١) (المشاركة خاصة)، وكلها لا تخرج في نظرنا عما أشرنا إليه أعلاه من أنها تستهدف « إزالة الغموض والاضطراب » و « التخليص من المنطق الأرسطي » أي « التسهيل » و « التيسير ». لكن أيا منها لم يستطع تجاوز النحو العربي القديم الذي يدا أنه أقوى من كل تلك المحاولات. والسبب الرئيسي، في نظرنا، أن أصحابها لم يستطيعوا التخلص من الإطار العام لهذا النحو، فعجزوا عن تقديم أي جديد يمكنه أن يناقسه. حتى محاولات عبد الرحمان أيوب^(٢) و تمام حسان^(٣) و كمال بشر^(٤) و محمود السعران^(٥) و داود عبده^(٦) التي حاول أصحابها الاستفادة مما أخذوه عن علم اللغة المعاصر (اللسانيات) في الغرب فإنها لم تنضج ولم تترسخ بما فيه الكفاية ، فانطفأت في المهد. وهناك محاولات أخرى ظهرت في المغرب العربي؛ تونس والجزائر والمغرب خاصة، وهي محاولات تشبع أصحابها بالنظرية اللسانية في الغرب أيضا، بما تحمله تلك النظرية من تصورات ومفاهيم تختلف معرفيا عن تصورات العرب القدماء. ومما يميز هذه المدرسة عن المدرسة المشرقية التي دشنها الجيل الثاني (أيوب وحسان وبشر والسعران وعبده)

(١) انظر عبد الوارث مبروك سعيد (١٩٨٥).

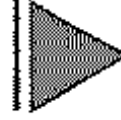
(٢) انظر أيوب (١٩٥٧).

(٣) انظر: حسان (١٩٨٥).

(٤) انظر: بشر (١٩٧١).

(٥) انظر السعران (د . ت).

(٦) انظر عبده (١٩٧٣).



أنها لازالت تعمل رغم الظروف الصعبة التي يجتازها البحث العلمي في هذه المنطقة كما أنها استطاعت أن تتجزأ أبحاثا متقدمة يمكن أن تنافس النحو العربي القديم، أبحاثا في تفسير ووصف عدد كبير من ظواهر اللغة العربية، إن على مستوى الفونولوجيا أو على مستوى تركيب الجمل أو على مستوى المعجم أو الدلالة أو التداول^(١). ما يميز هذه المدرسة أيضا هو أن أصحابها ظلوا يعملون بشعار واحد هو «إما أن يكون للعربية نحو جديد وإما ألا يكون» دون أي استصغار للتراث اللغوي العربي أو الحط من قيمة من أنجزوه.

وعلى سبيل المثال، يرى الفاسي الفهري، تعليقا على محاولات المجددين المشاركة «أن اللسانيات العربية لازالت تبحث عن نفسها وتتلمس طريق الانطلاق، بل إنها انطلقت في كثير من الأحيان في اتجاه غير مرغوب فيه»^(٢) ومن بين العوامل في ذلك، في نظره «تأثير الفكر القديم نحويا كان أو بلاغيا أو فلسفيا على البحث في العالم العربي، وغياب استراتيجية بحث تربط الماضي بالحاضر»^(٣).

واختصارا لما يمكن أن نسوقه في هذه النقطة المتعلقة بقراءات العرب المعاصرين لتراثهم اللغوي وبمواقفهم منه نحيل على الندوة التي كانت

(١) يبدو أن الفاسي الفهري ومدرسته مثلا قد عالجا نسبة كبيرة من ظواهر العربية خاصة في التركيب والمعجم، كما أن لأحمد المتوكل اجتهادات في الوظائف التداولية في العربية، وكل ذلك وفق رؤى منهجية معاصرة. انظر الفاسي الفهري (١٩٨٥). و المتوكل (١٩٨٥).

(٢) الفاسي الفهري (١٩٨١)

(٣) نفسه.

كلية آداب الرباط قد نظمتها في ماي ١٩٨١ تحت عنوان « البحث اللساني والسيميائي ». في هذه الندوة قدمت مجموعة من المداخلات نختار الوقوف عند ثلاث منها ليس لأهميتها وإنما لدلالاتها بالنسبة لموضوعنا.

- المداخلة الأولى كانت بعنوان: « النحو العربي واللسانيات المعاصرة » وهي للدكتور عبده الراجحي من مصر، وفيها يدعو إلى إغناء القديم بالجديد لكنه لا يقترح أي نموذج.

- المداخلة الثانية كانت بعنوان: « اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي »، وهي للدكتور أحمد المتوكل من المغرب، يبين فيها إمكانية الاستعانة بالقديم في بناء الجديد، ويقترح نموذجا.

- المداخلة الثالثة كانت بعنوان: « لسانيات الظواهر وباب التعليق »، وهي للدكتور عبد القادر الفاسي الفهري من المغرب. وفيها يدعو إلى العمل في استقلال تام عن التراث الذي يطالب بأن يلحق بتاريخ الأفكار لا ببناء الأنحاء وإلا صار عائقا في نظره، ويقترح نموذجا. تلخص هذه المداخلات الثلاث جملة المواقف التي عبر عنها العرب المعاصرون؛ فهناك من هم مع التراث اللغوي القديم والاكتفاء به، بعد تدجينه وتلفيقه، ومن هم ضده ويدعون إلى تجاوزه وبناء أنحاء جديدة لا مكان فيها للقديم^(١).

لكن ما هي النواقص التي يعاني منها النحو العربي حتى يثار حوله

(١) لنا تعليق على كل موقف من هذه المواقف، لكن المقام لا يتسع لعرضه. وللإطلاع على رأينا في أقوال اللسانيين بصفة عامة، أنظر المدخل الذي خصصناه لعملنا (٢٠١٢) والذي عنوانه « الخطاب اللساني بحث في الأسس المعرفية ».



كل هذا النقاش إلى درجة أن البعض يطالب بالتخلي عنه؟ فمن وجهة نظر القراءات النقدية، يلاحظ، أولاً، أن النحاة العرب، رغم أنهم يدركون الفرق بين اللغة كمبادئ عامة وبين اللسان كمبادئ خاصة، فإنهم لم يولوا اللغة اهتماماً يساعدهم في التعريف بلسانهم وذلك بتقديم أوصاف أكثر دقة وملاءمة لهذا اللسان. لم يفعلوا ذلك لدوافع لا علاقة لها بالبحث اللغوي، وإنما لها علاقة بأمور أخرى كدراسة القرآن وآداب العرب. وهكذا فإن كل ما يقصدونه بمفهوم اللغة إنما هو اللسان. الأمر الذي فرض عليهم وضع نموذج أو نماذج لوصف ظواهر العربية كلسان، ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في المبادئ العامة التي تشترك فيها العربية مع أخواتها الساميات والبحث في المبادئ الأعم التي تشترك فيها الساميات مع ألسن أخرى تنتمي إلى أسر مختلفة. كان هذا سيساعد كثيراً حتى على تجنب التخبیط الذي وقع فيه مفسروا القرآن وشراح الدواوين^(١) أمام قضايا لغوية لها نظائر في الساميات الأخرى أو هي منتقلة منها. هذا الأمر أوقع النحو العربي ضمن خانة الأنحاء المفتقرة إلى الكفاية المنهجية والتصورية على حد سواء.

غياب تصور عام للغة، عند اللغويين العرب، هو الذي أوقعهم في بعض التناقضات والتكرار (ورود الظاهرة الواحدة في أكثر من باب)، كما أفقدهم آلية اختبار النماذج التي اقترحوها لوصف ظواهر العربية. هناك من يعترض ويرى أن ما فعله العرب أمر طبيعي إذا علم أن تقنية وضع النظريات وبناء النماذج هي تقنية لم يتم الاهتداء إليها إلا حديثاً. هذا اعتراض كان سيكون

(١) تعيننا تفاسير القرآن وشروح الدواوين من جهة أنها محاولات تشكل الرديف التطبيقي للنحو والبلاغة.

في محله إذا فهم أننا نطالب القدماء بإنجاز ما ينجزه المعاصرون. فنحن
استعملنا هنا بعض المفاهيم الحديثة لاعتبارات تواصلية فقط.

تاريخيا، عرف الدرس اللغوي في الغرب ثلاث مراحل رئيسية هي:

(أ) المرحلة الكلاسيكية؛ وهي المرحلة التي ابتدأت مع اليونان القدماء،
(ب) مرحلة الإحياء، حيث تمت العودة إلى التراث قصد هضمه وإعادة
تقديمه، واستمرت هذه المرحلة من بوررويال (ق ١٧) حتى ظهور
الفيلولوجيين (ق ١٨ و ١٩).

(ج) المرحلة الحديثة، وهي مرحلة تميزت بالانفتاح على العلوم الإنسانية
(كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم المعرفة) وغير الإنسانية (كالبيولوجيا وعلوم الدماغ ...) واشتهرت هذه المرحلة بظهور مدارس
كبيرة وقوية كالمدرسة البنيوية (وهي عبارة عن مجموعة من مدارس
مختلفة) والمدرسة التوليدية (وهي عبارة عن اتجاهات تشتغل داخل
فرضية واحدة هي تفسير قدرة المتكلمين على إنجاز ما ينجزون)^(١).
من أهم نتائج الدرس اللغوي المعاصر (اللسانيات) الاقتناع بضرورة
مراجعة اللغويات القديمة^(٢) واستثمار ما يمكن استثماره منها من أسس

(١) انظر، في هذا الخصوص، العمري (٢٠١٢) .

(٢) حتى لا تفهم المراجعة بأنها رفض للقديم جملة وتفصيلا، نشير إلى أن تشومسكي، وهو رائد
من رواد الدرس اللساني المعاصر، لم يقص القدماء أثناء بناء نظرياته. فجهازه الاستدلالي
مليء بأراء اللغوي الهندي بانيني (ق ٦ ق م) وبأفكار الفلاسفة اليونان (أفلاطون خاصة)
وبفقه نحاة بوررويال (ق ١٧) وبفلسفة فلاسفة الأنوار (ديكارت ق ١٧)، لأن هذه الآراء
كلها لم ينل منها التقادم في شيء، ولأنها تتقاطع، رغم قدمها، في أكثر من نقطة مع أفكار
المعاصرين. فالمناط إذا هو على القوة الاستدلالية لا على الزمن، كما أن هؤلاء جميعا قدماء
ومعاصرين ينطلقون من سؤال واحد هو سؤال المعرفة: كيف نعرف؟ انظر العمري ٢٠١٢ .



ومقدمات وتصورات ومفاهيم قصد دعم الأجهزة الاستدلالية على الأقل دون أي ضجيج أو مواقف مسبقة. هكذا قرأ الغربيون تراثهم اللغوي، وهكذا فهمت الحداثة عندهم.

صحيح أن العرب عالجوا ظواهر لغوية كثيرة، في النحو والصرف والمعجم والدلالة والبلاغة، لكن الذي يجب أن لا يغيب عن بال الباحث هو أنهم فعلوا ذلك كله انطلاقاً من سؤالاتهم هم لا من سؤالاتنا نحن.

وباختصار، فإن ما نحن مطالبون به اليوم هو إعادة النظر في طبيعة الظواهر التي درسها النحاة العرب وكذا في المناهج والتصورات التي درست في إطارها، مع ربط اتصال قوي بالنظرية اللسانية المعاصرة، والتقييد بها في بناء نموذج يصف العربية وصفاً دقيقاً ويساعد على حل المشاكل العالقة وعلى رأسها مشكل تعليمها⁽¹⁾. نحن مطالبون أيضاً بالإجابة عن أسئلة ترتبط بتفسير المعرفة اللغوية عند المتكلمين المستمعين وبتحديد العلاقة بين ما هو لغوي وما هو لساني بعد تحديد كل منهما، وبالتمييز بين ما ينتمي إلى قدرة المتكلم اللغوية المنفتحة على كل ما هو نحوي وبين ما ينجزه هذا المتكلم مما ينتمي إلى تلك القدرة وما لا ينتمي إليها، وأمور أخرى تحددها النظرية اللسانية العامة.

الارتباط بهذه الأسئلة وبأسئلة أخرى تنتسل منها يهدف من بين ما يهدف إليه إلى:

(أ) تحقيق كفاية ملاحظة؛ ويعني ذلك استقصاء كل المعطيات الدالة بالنسبة للسان موضوع الدراسة.

(1) يمكن تخيل أن توجد في يوم من الأيام مكاتب دراسات تلجأ إليها الأمم في شخص حكوماتها لتطلب منها إنجاز نحو للسان الذي تتكلمه تلك الأمة.

(ب) ثم تحقيق الكفاية الوصفية، أي تقديم أوصاف دقيقة لجمل ذلك
اللسان تستجيب

(ج) الإسهام في النظرية العامة (الكفاية التفسيرية)، وذلك باستثمار ما
يوفره اللسان من إمكانات تسهم في اختبار النظرية العامة التي تروم
تفسير قدرة البشر على امتلاك المعرفة اللغوية.

مما يعني أن اللساني يجب أن يشتغل، حينما يروم ذلك، بموجهين:
موجه يقربه من اللسان وآخر لا يبعده عن النحو الكلي.

ومن بين المشاكل التي يواجهها من يدافع عن التراث النحوي العربي
والاكتفاء به كما هو، تصورا ومنهجيا، أنه لا يستطيع الإجابة عن الأسئلة
التي ترتبط بتحقيق الكفايات المشار إليها أعلاه.

فبخصوص الكفاية الملاحظة، هناك معطيات غيبها النحاة العرب
عن المتن اللغوي موضوع الدراسة بحجة أنها تنتمي إلى لغات غير مشهورة
أو شاذة أو أنها دخيلة فلم تزل حظها من العناية، وأخرى مقحمة وغير
منتمية إلى اللسان انتماء حقيقيا ومع ذلك اعتني بها (كضرورات الشعر
مثلا) وذلك لأسباب غير لغوية، الأمر الذي نتج عنه شيء من عدم
الانسجام في المادة المدروسة وكذا في نظام القواعد المقترحة للوصف،
مما ترتب عليه قصور واضطراب في الأوصاف فافتقار إلى الكفاية
الوصفية، ناهيك عن أن النحو العربي يقطع الصلة بأي تفكير في نحو
عام يكون له حضور في استنباط القواعد الخاصة بالعربية، ويحمي
اللغوي من الانزياح عن الأهداف الحقيقية.

من الأمثلة الكثيرة على عدم تحقيق الكفاية الوصفية، وهي التي
تمت المراهنة عليها أكثر من غيرها، ما ورد في باب الاشتقاق؛ حينما



تساءلوا: ما المشتق من الآخر؛ الاسم أم الفعل؟ فذهب البصريون إلى أن الاسم هو الأصل، وذهب الكوفيون إلى عكس ذلك، بينما الصواب هو أن الاسم والفعل هما معا مشتقان من أصل واحد هو المادة (الجذر) التي تشكل الأساس في صياغتهما. فرغم أن العرب اشتغلوا بالجذور عند وضع المعاجم فإنهم تفاقلوا عنها في الصرف، فسقطوا في نقاش لا محل له. ومثال آخر من الصرف؛ اعتبروا أن (قال) أصلها (قول) فقلبت الواو ألفا لوقوعها بين فتحتين. والصواب أن يقال: حذفت الواو وبقيت فتحها، فتعاقبت فتحة القاف مع فتحة الواو فصارتا فتحة طويلة وهو ما يصبح مدا فيكتب إملائيا ألفا فنحصل على (قال). وأشياء أخرى من هذا القبيل لا يسمح المقام بإثارتها، وكان الأجدر بالمتأخرين فعل ذلك بدل الخوض في العلل الأول والثواني والثالث، وذلك حتى يتطور النحو في الاتجاه الصحيح.

المراجع

- أيوب، عبد الرحمان: دراسات نقدية في النحو العربي. مطبعة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٥٧.
- برجشتراسر، ج: - التطور النحوي للغة العربية. ١٩٢٩. ت. الدكتور رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي بالقاهرة. د. ت.
- أصول نقد النصوص ونشر الكتب. ١٩٣١-١٩٣٢. ط. ٣. إعداد وتقديم الدكتور محمد حمدي البكري. إشراف ومراجعة الدكتور حسين نصار. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة. ٢٠١٥.
- بشر، كمال: دراسات في علم اللغة. ١٩٧١. دار غريب للطباعة والنشر. بيروت ١٩٩٨.
- حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٥٨.
- الراجحي، عبده: النحو العربي واللسانيات المعاصرة. ضمن أعمال ندوة نظمتها كلية آداب الرياط في موضوع "البحث اللساني والسيميائي " أيام ٧-٨-٩ مايو ١٩٨١. منشورات كلية الآداب بالرياط ١٩٨٤. ص ١٥٢-١٦٤.
- الزجاجي، أبو القاسم: الإيضاح في علل النحو. تحقيق مازن المبارك. ط ٢. دار النفائس. بيروت ١٩٧٩.
- السعران، محمود: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت. د. ت
- سعيد، عبد الوارث مبروك: في إصلاح النحو العربي: دراسة نقدية.

بحوث محكمة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث (التراث اللغوي والأدبي في ضوء المناهج الحديثة)
قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي
١٤٤٠/٧/٧ هـ ٢٠١٩/٣/١٤ م



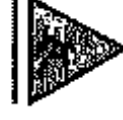
دار القلم. الكويت ١٩٨٥.

- شعيرات، محمد: مدخل إلى دراسة المفاهيم النحوية في التراث العربي. مجلة التواصل اللساني. المجلد ٤. العدد ٢. سبتمبر ١٩٩٢ المغرب. ص ص ٢٢ - ٤٠.
- الشناوي، عبد العظيم: النحو والبلاغة العربيان والفكر اليوناني. ضمن أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية التي نظمتها كلية الآداب بالرباط أيام ٧-٨-٩-١٠ مايو ١٩٨٠. منشورات كلية الآداب ١٩٨٥. ص ص ٤٠٥-٤٢٤.
- ضيف، شوقي: مقدمة التحقيق الذي أنجزه لكتاب " الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي. ط ٢. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢.
- عبده، داود: أبحاث في اللغة العربية. مكتبة لبنان. بيروت ١٩٧٣.
- العقيلي، نجيب: الاستشراق والمستشرقون. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٤.
- العلوي، أحمد: - ظهور اللغة وعناوين الظهور. مجلة دراسات أدبية ولسانية. العدد ٤. ص ص ٣٧-٤٨. صيف/خريف ١٩٨٦ المغرب.
- الطبيعة والتمثال؛ مسائل عن الإسلام والمعرفة. الشركة المغربية للناشرين المتحددين. الرباط ١٩٨٨.
- العمراني، جمال عبد العلي: " الصلة أم الفصل فيما بين المنطق الفلسفي والنحو العربي في القرن الرابع الهجري "، ضمن أعمال ندوة " الفكر العربي والثقافة اليونانية " التي نظمتها كلية الآداب بالرباط أيام ٧-١٠ مايو ١٩٨٠. منشورات كلية آداب الرباط ١٩٨٥. ص ص ٢٠٥-٢١٤.

العمري، محمد: - ريجيس بلاشير؛ تأسيس أم مراكمة. ضمن أعمال ندوة نظمتها مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض بمراكش يومي ٢٣-٢٤ نونبر ٢٠١١ في موضوع " ترجمة الاستشراق إلى العربية ". نشرتها المؤسسة ضمن سلسلة " حوار الضفتين ". الدار البيضاء ٢٠١٢.

- الأسس الاستمولوجية للنظرية اللسانية المعاصرة؛ البنيوية والتوليدية. دار أسامة. عمان. ٢٠١٢.

- غيوم، جان باتريك: في مراحل تكون التراث النحوي العربي. مجلة التواصل اللساني. المجلد ٤. العدد ٢. سبتمبر ١٩٩٢. المغرب.
- الفاسي الفهري، عبد القادر: - لسانيات الظواهر ولباب التعليق. ضمن أعمال ندوة نظمتها كلية آداب الرباط في موضوع " البحث اللساني والسيميائي " أيام ٧-٨-٩ مايو ١٩٨١. منشورات كلية الآداب بالرباط ١٩٨٤. ص ص ٢١-٤١.
- اللسانيات واللغة العربية. دار توبقال. الدار البيضاء ١٩٨٥.
- القرطبي، ابن مضاء: الرد على النحاة. تحقيق شوقي ضيف. ط ٢. دار المعارف. القاهرة ١٩٨٢.
- المتوكل، أحمد: - اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي. ضمن أعمال ندوة نظمتها كلية الآداب بالرباط في موضوع « البحث اللساني والسيميائي » أيام ٧-٨-٩ مايو ١٩٨١. منشورات الكلية ١٩٨٤. ص ص ١٧-٢٠.



- الوظائف التداولية في اللغة العربية. دار الأمان. الرباط. ١٩٨٥
- Réflexion sur la Théorie de la Signification dans la Pensé Linguistique arabe، Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat ،1982

- مذكور، إبراهيم بيومي: في اللغة والأدب. سلسلة اقرأ دار المعارف. القاهرة. ١٩٧١.
- نصار، حسين: المقدمة التي قدم بها كتاب برجشتراسر « أصول نقد النصوص ونشر الكتب » في طبعته الثالثة. دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ٢٠١٥.